

حقائق التأويل

[160] تابوا وقد وقعت توبتهم على الوجه الذي يوجب قبولها منهم ! فظاهر هذا الكلام على ما قدمناه لا يدل على ذلك، لانه تعالى أضاف التوبة إليهم وهي لا تقع منهم على كل وجه يصح وقوعها، فادعاء العموم في جهاتها لا يصح. وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك أن التوبة المتقدمة التي كانت قبل الكفر وقبل الازدياد منه لا تقبل منهم، وقد ازدادوا الآن كفرا، لانه تعالى قد اخبر أنهم كانوا قبل ذلك مؤمنين بقوله: (كفروا بعد أيمانهم) فبين سبحانه بهذا أن توبتهم وقعت محبطة بالكفر الذي ردها ووقع في عقبها، وإنما تكون التوبة نافعة إذا استمر النائب على طريق الصلاح، وبعد من قبائح الافعال، وخرج عن الاسباب (1) والاصرار، إلى الاشفاق والحدار، ألا ترى إلى قوله تعالى: (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) [1] فلم يجتز بقوله: (تابوا) حتى قال: (واتبعوا سبيلك)، أي: لازموا الطريقة الصالحة، وفارقوا الاعمال الموبقة. ويحتمل ذلك أيضا أن يكون هؤلاء القوم أظهروا التوبة ولم يعتقدها بل عزموا في المستقبل على اثبات امثال ما تابوا منه، ولم يندموا على ما فعلوه لقبحه، وهذان الامران - أعنى: الندم على فعل القبيح لانه قبيح، والعزم على ترك معاودة مثله في المستقبل - طنبا التوبة _____ (1)

الاسباب بالمهملة: مصدر اصب، إذا اخذ في الصب بفتحتين وهو ما انحدر من الارض ويحتمل الاسباب بالمعجمة من اصب الشئ أو على الشئ إذا لزمه فلم يفارقه أو امسكه فيكون بمعنى الاصرار (2) المؤمن: 7. _____